

سرديات الرثاء في بكائيات الوداع الأخير للشاعرة إيمان مصاورة

Elegy Narratives in the Last Farewell Elegies of Poet Iman

Masawra[^]

أ.د. عواد كاظم الغزي: كلية الآداب، جامعة ذي قار، العراق.

Prof. Dr. Awad Kazem Al-Ghazi: Faculty of Arts, University of Thi-Qar, Iraq.

Email: awadkadhemi@utq.edu.iq

DOI: <https://doi.org/10.56989/benkj.v5i6.1488>

المخلص:

يشكّل النص الشعري الحديث نسقاً متجانساً، تتواشج فيه مجموعة أيقونات شكلية، ودلالية، تبدأ من رأس النص وعنوانه مروراً بانتظامه كتابياً وصورياً ودلالياً، وانتهاءً بتنشيطاته الموضوعية ولكن ثمة نسق يظل رابطاً لجسد النص، وواشياً بتمركز هذه الأيقونات والتقنيات حوله، وهو الفكرة الحاضنة للنص، فمثلاً يحتضن النص أفكاراً وموضوعاتٍ، فإنه يحتضن أيقوناتٍ وتقنياتٍ تتمحور حول مركزٍ جاذبٍ في النص، يتجسّد في الفكرة الشعرية. أوصت الدراسة بمجموعة من التوصيات؛ أبرزها: ضرورة تفسير سرديات الرثاء في ضوء مرجعياته التاريخية، وضرورة التنبّه إلى السرديات الحديثة الناشئة بفعل الظروف، وضرورة قراءة سرديات الرثاء الخاصة بالمقاومة على أنها مشروع يستنهض الهمم.

الكلمات المفتاحية: السرديات، البكائيات، سرديات الرثاء، كائيات الوداع الأخير، إيمان مصاورة

Abstract:

The modern poetic text constitutes a homogeneous system in which a group of formal and substantive icons are intertwined, starting from the head of the text and its title, passing through its structural, visual and semantic coherence, and ending with its thematic fragmentations. However, there is a sap that remains a link to the body of the text and an indicator of the concentration of these icons and techniques around it, which is the idea that embraces the text. Just as the text embraces ideas and topics, it embraces icons and techniques that revolve around a center of attraction in the text that is embodied in the poetic idea. The study made a number of recommendations, most notably: the need to interpret elegy narratives in light of their historical references, the need to be aware of modern narratives emerging as a result of circumstances, and the need to read elegy narratives related to resistance as a project that mobilizes spirits.

Keywords: Narratives, Elegies, Elegy Narratives, Last Farewell Elegies, Iman Masawra

الإطار المنهجي للدراسة:

المقدمة:

يعد موضوع الرثاء من الموضوعات الشعرية القديمة، فقد تناولته الشعراء كثيرًا، وكان بابًا من أبواب الشعر يُخلد فيه الإنسان بعد غيابه، وكانت سنة الشعراء تأبين الميت بَقِيمٍ تُخلد وجوده، وقال عنها القدماء: "إنها مدح لميت"، وظلَّ هذا الغرض الشعري متداولًا بين الشعراء إلى عصرنا الحديث؛ إذ دأب الشعراء على الرثاء في مواطن كثيرة، وكان أهمها رثاء مَنْ قَدَّمَ حياته من أجل الوطن، وحاولوا ربط غياب الأموات بتقاليد وأعراف اجتماعية، تُعدُّ من سرديات الأمم والشعوب، وفي الرثاء الفلسطيني، حاول الشعراء استدعاء سرديات الشهادة والتحرير في مقاومة الآخر، فكان غرض الرثاء في الشعر الفلسطيني يتضمن سرديات متنوعة تتصل مرجعياتها بتاريخ المواطن الفلسطيني.

مشكلة البحث:

تحاول هذه الدراسة حل مشكلة الانفعال العاطفي في موضوع الرثاء؛ إذ صار للرثاء في الفكر العربي والإسلامي سرديات يؤديها الإنسان، ومن تلك السرديات التي وردت في الشعر الرثائي الفلسطيني، ذلك أنه يعد كل مَنْ رثي مات قريبًا للوطن والحرية والتحرير، ومن هنا يتساءل البحث هل يمكن للتقاليد والعادات، والطقوس الرثائية أن تخلق حجبًا وبراهين على أن الموت انبعاث جديد من أجل الوجود.

أهداف البحث:

تحاول الدراسة الكشف عن:

- 1- توظيف مفاهيم أنتجها العقل الجمعي في رثاء الإنسان.
- 2- العلاقة الوجودية بين الإنسان والغائب.
- 3- درجة الانفعال النفسي في رثاء شخصيات مهمة.

المبحث الأول: عتبة العنوان

لمّا كانت النصوص الشعرية الحديثة، تحاول استثمار الحيز الكتابي، والتمدد في فضاءه دلاليًا، فلا ريب أن تُخلق نصوصًا موازية لها في هذا الحيز تتخذ أشكالًا متباينة، فالنص الموازي

كل (ما يصنع به النص من نفسه كتابًا، ويقترح ذاته بهذه الصفة على قرائه، وعمومًا على الجمهور، أي: ما يحيط بالكتاب في سياق أولي، وعتبات بصرية ولغوية) ⁽¹⁾.

إنَّ ما تفتن له "جينيت" في النص الموازي، يحيل إلى أن النص الأدبي كتلة واحدة، وهذا بدوره يحيل إلى إمكانية أن يضمّر المتن بعض دلالاته في أيقوناته أو تقنياته، وقد يبدو للوهلة الأولى أن مفهوم النص الموازي أشمل من مفاهيم النص الآخر؛ إذ يكتنف المتن النصي وما يتصل به، فهو (مجموع عناصر الغلاف الخارجي الذي يؤطر النص مضافًا إليها ما يوضع في مشارف النص، وفي مهادته، وفي أعقابه فضلًا عن عناوينه الداخلية، وكل هذه العناصر ستساهم - دون شكٍ - على نحوٍ مباشر، أو غير مباشر في بناء جهاز دلالي مستقل ببنيته الخاصة، يتكفل بحمل رسالة هي بشكلٍ ما توازي تلك الرسالة التي تستطيع من النص الإبداعي) ⁽²⁾.

ويعد العنوان أحد أيقونات النص الموازي، وصيِّف على أنه نص ملفوظ أو ملحوظ ⁽³⁾، أو هو تكرار لفظي وإيحائي ⁽⁴⁾، أو هو مولد النص فكريًا وأيديولوجيًا ⁽⁵⁾، في حين يرى آخرون أن العنوان البيضة الكونية التي تبذر النص ⁽⁶⁾، أو تلمم أوصاله ومتفرقاته وتشعباته من خلال التضعيف والتمركز والتوسع ⁽⁷⁾، ويبدو أن المقولات السالفة لا تعدو أن تكون بحثًا في علاقة العنوان بمتنه، مما دفع بعض الناقدين إلى القول بأن (العنوان الرئيسي، والعنوان الفرعي، والعنوان التجنيسي وكذلك العناوين الداخلية، فكل تلك العناصر هي في صميم بنية النص، كما أبدعها مؤلفها، وقبل أن تصبح كتابًا، وقبل أن تطرأ عليه مكملاته النثرية) ⁽⁸⁾.

وهذا الفهم بحسب عباس الددة يعني: توحد العتبات كلها في نص واحد يطلق عليه النص الموازي، وهو حاصل جمعي لها ⁽⁹⁾، وقد أثبتت الكتابة الحديثة (أن العنوان أو النص الموازي عمومًا، يعد مدخلًا ضروريًا لكثير من أنواع الخطابات، كما أن العناية به تظل معبرًا مهما يتسرب منه القراء إلى أعمالٍ إبداعية بعينها) ⁽¹⁰⁾.

⁽¹⁾ Genette C Gerard. Seuil, collpoetique prais:1987. p.7.

الرأي لجينيت نقلًا عن السيميوطيقا، والعنونة: 103.

⁽²⁾ قراءة العنوان الروائي - محاولة في التصنيف والتظهير والتطبيق: 49.

⁽³⁾ بنية العنوان في قصيدة السياب: 30.

⁽⁴⁾ علاقات الحضور والغياب: 38.

⁽⁵⁾ السيميوطيقا والعنونة: 106.

⁽⁶⁾ في نظرية العنوان: 45 - 46.

⁽⁷⁾ الوصول إلى الطريق - قراءة في قصيدة شناشيل ابنة الجلي: 124.

⁽⁸⁾ قراءة العنوان الروائي: 52.

⁽⁹⁾ م. ن: 54 - 55.

⁽¹⁰⁾ عتبات النص في ديوان (آدم الذي...) للشاعرة حبيبة الصوفي: 48.

تشكّل قراءة العنوان صعوبة بالغة في الوصول إلى مدلولاته بوصفه نصّاً شعريّاً، يتعالى على الحقائق، ويتجاوز الواقع، ويقفز فوق المعقول⁽¹⁾، وليس بالضرورة أن يكون العنوان مخبراً بموضوع المتن وواشياً به⁽²⁾، ولكن - ونحن نقرأ مجموعة بكائيات الوداع الأخير - يمكننا أن نلمح صلة بين عنوان النص ومنتته الشعري، وقد قسّم الباحثون هذه الصلة إلى علاقات، فهي إما أن تكون امتدادية أو ارتدادية أو تجاورية⁽³⁾، وفي العلاقة الامتدادية يغدو العنوان بنية رحمية تتناسل منها معظم دلالات النص⁽⁴⁾، وتتخذ لها مساحات عمل بوصفها - أي: العناوين - علاقات ذات طبيعة ازدواجية، تنشر متن النص الذي تصدره، وفي الوقت ذاته قد تحيل إلى نصٍ آخر⁽⁵⁾، وفي تلك الازدواجية تتسم العناوين بسمات العلامة السيميائية التي تكتنف مدلولاً، وتحيل إلى نصٍ خارجي يتناسل معه، ويلامسه شكلاً ومضموناً⁽⁶⁾.

وقد دلفت عناوين بكائيات الوداع الأخير إلى حقل العلامات والإحالة السيميائية؛ إذ وطدت علاقاتها الارتدادية بما تناسل منها من نص، وإحالة إلى فضاءٍ سيميائي دالٍ مهمور بانتمائه إلى رحمها الدلالي.

إن استقراء بنية العنوان بوصفه علامة سيميائية في مجموعة بكائيات الوداع الأخير للشاعرة إيمان مصاروة، يشي بأن بناءه يُحدث فضاءً تداوليّاً على مستوى الشكل الكتابي؛ إذ تنقسم العناوين بوصفها عتبات نصية واشية بما يلتحق بها من متونٍ على حزمٍ، تبدو متفرقة شكلياً، ومتوائمة في سلاستها الفكرية، على أن المفارقة الشكلية لم تمنع وقوع تداولٍ فكري بين عتبة العنوان والنص والملتحق به من جهة، وبين شكل العنوان ودلالة العناوين الأخرى في سيمياء تشكّلها من جهةٍ أخرى، وتأخذ تلك التبادلية البنائية فضاءً كتابيّاً لها، يحيل إلى الشكل السياقي، ويدل عليه البديل والمستبدل منه:

• العتبة فضاء المتن الكتابي

- 4 - أختنت العهد أم خانتك أمنيّتي⁽⁷⁾
6 - تعجّل دون انتباه⁽⁸⁾

(1) العنوان في الشعر العراقي الحديث - دراسة سيميائية: 106.

(2) المصدر السابق: 122.

(3) المصدر السابق: 197، 250، 270.

(4) السيميوطيقا، والعنونة: 106.

(5) RIFATarre, M (1983): semiotique la possie. seuil. P.130

الرأي لريفاثير نقلاً عن السيميوطيقا، والعنونة: 98.

(6) السيميوطيقا، والعنونة: 98.

(7) بكائيات الوداع الأخير: 7.

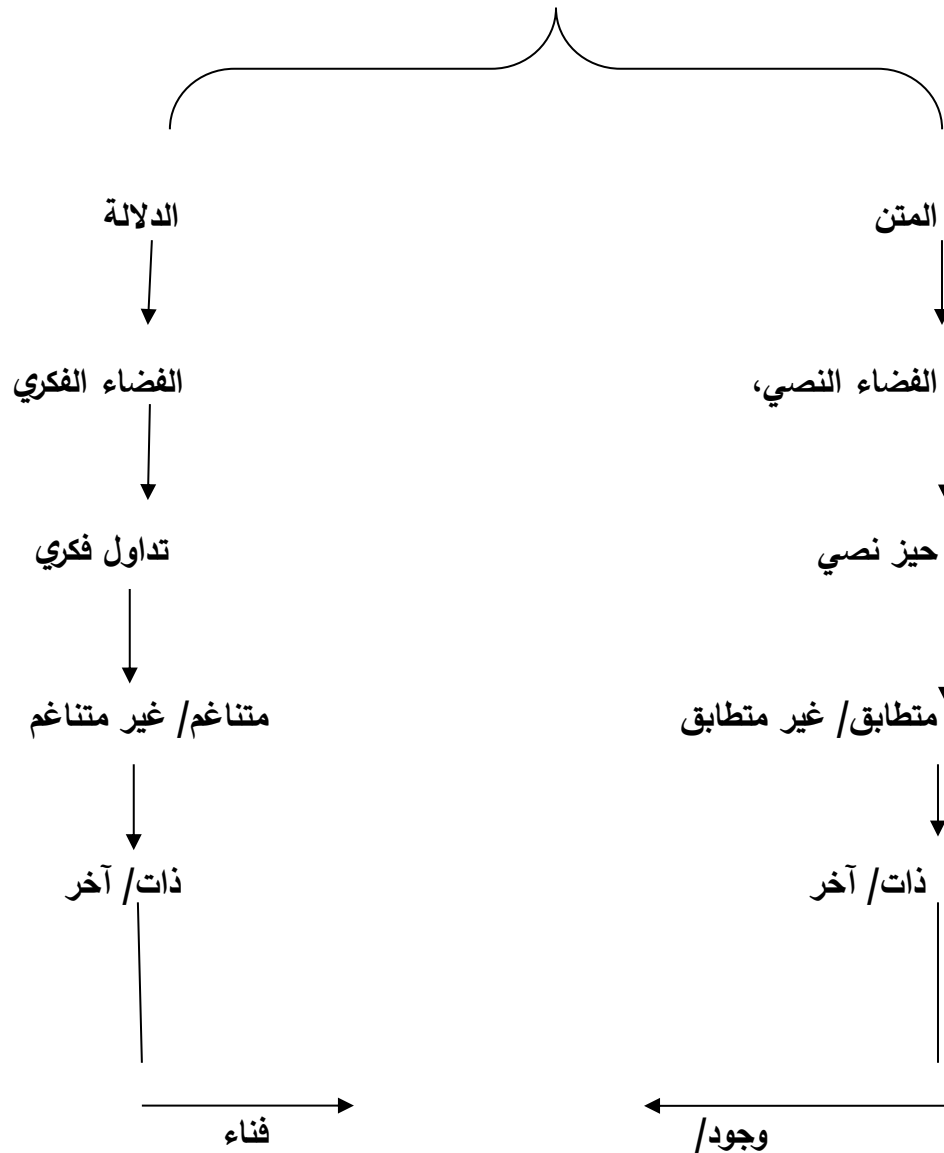
- 2 - الدمع يردي لهيباً⁽¹⁾
- 6 - خطى حائرة فوق الثرى⁽²⁾
- 5 - أقد في فقد الهوى أطلالي⁽³⁾
- 4 - خلودٌ وعهودٌ باقية⁽⁴⁾
- 3 - نحيب القمر⁽⁵⁾
- 3 - تحتضر المسافة بيننا⁽⁶⁾
- 4 - وقع الغياب على الجبين⁽⁷⁾
- 4 - لن تورق الأيام بعدك⁽⁸⁾
- 4 - على أنين العروبة⁽⁹⁾
- 5 - نم في جوار القلب⁽¹⁰⁾
- 4 - أودعت قلبي في الثرى⁽¹¹⁾
- 4 - أأحيا؟! وأنت البعيد هناك⁽¹²⁾
- 2 - لي غربتان بنزع الروح⁽¹³⁾
- 5 - ما زلت حياً يا أبي⁽¹⁴⁾
- 3 - تأملات في واقع النسيان⁽¹⁵⁾
- 5 - بعض حرفٍ نازف⁽¹⁶⁾

- (8) المصدر السابق: 11.
- (1) المصدر السابق: 17.
- (2) المصدر السابق: 19.
- (3) المصدر السابق: 29.
- (4) المصدر السابق: 30.
- (5) المصدر السابق: 34.
- (6) المصدر السابق: 37.
- (7) المصدر السابق: 40.
- (8) المصدر السابق: 44.
- (9) المصدر السابق: 48.
- (10) المصدر السابق: 52.
- (11) المصدر السابق: 57.
- (12) المصدر السابق: 61.
- (13) المصدر السابق: 65.
- (14) المصدر السابق: 67.
- (15) المصدر السابق: 72.
- (16) المصدر السابق: 75.

- دعوا قلبي⁽¹⁾ 4
- سفر اللقاء⁽²⁾ 5
- لمن تأوي التواييت؟⁽³⁾ 4

ونحن إذ نحاول تفكيك العنوان دلاليًا، والكشف عن تجلياته السيميائية في تبادله البنائي مع المتن، فإننا لا نغفل سمة شعرية أخرى تظهر في عنونة بكائيات الوداع الأخير، تتمثل في اقتراب عتبة العنوان وممتها النصي دلاليًا من عتبة العنوان الرئيسي للمجموعة:

بكائيات الوداع الأخير:

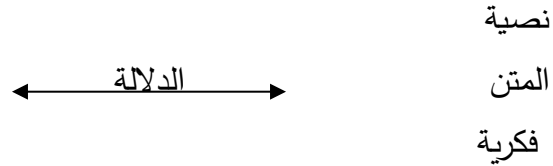


(1) المصدر السابق: 80.

(2) المصدر السابق: 84.

(3) المصدر السابق: 89.

وتحيلنا تلك الثنائيات إلى وجود تبادلية نصية فكرية في نصوص المجموعة وإشياء بما
تضمه الذات الشاعرة، وما تحاول البوح به، وسنحاول ربط الثنائيات النصية والدلالية فيما بينها
للوصل إلى المكون الذاتي للشاعرة:



إن كشف العلاقات بين دلالة المتن من جهة، ودلالة العنوان أو العتبة النصية من جهة
أخرى يحيل إلى أن العتبة النصية للعنوان، تنفتح على فضاء نصي يتفق معها سياقياً، ويمكن أن
يتجلى ذلك بنائياً في مجموعة حزم:

1- الحزمة الرباعية:

- أخنت العهد أم خانتك أمنيته⁽¹⁾
- خطى حائرة فوق الثرى⁽²⁾
- أقد في فقد الهوى أطلالي⁽³⁾
- خلودٌ وعهودٌ باقية⁽⁴⁾
- وقع الغياب على الجبين⁽⁵⁾
- لن تورق الأيام بعدك⁽⁶⁾
- نم في جوار القلب⁽⁷⁾
- أودعت قلبي في الثرى⁽⁸⁾
- أأحيا؟! وأنت البعيد هناك⁽⁹⁾
- لي غربتان بنزع الروح⁽¹⁰⁾
- ما زلت حياً يا أبي⁽¹¹⁾

(1) المصدر السابق: 7.

(2) المصدر السابق: 19.

(3) المصدر السابق: 25.

(4) المصدر السابق: 30.

(5) المصدر السابق: 40.

(6) المصدر السابق: 44.

(7) المصدر السابق: 52.

(8) المصدر السابق: 57.

(9) المصدر السابق: 61.

(10) المصدر السابق: 65.

- تأملات في واقع النسيان⁽¹⁾

2- الحزمة الثلاثية:

- تعجّل دون انتباه⁽²⁾
- الدمع يروي لهيباً⁽³⁾
- تحتضر المسافة بيننا⁽⁴⁾
- على أنين العروبة⁽⁵⁾
- بعض حرفٍ نازفٍ⁽⁶⁾
- لمنْ تأوي التواييت؟⁽⁷⁾

3- الحزمة الثنائية:

- نحيب القمر⁽⁸⁾
- دعوا قلبي⁽⁹⁾
- سفر اللقاء⁽¹⁰⁾

ولا مفر من القول بأن إخضاع نسق العتبات إلى القراءة البنائية، يُظهر أن سياق الحزمة البنائية الرباعية، هو النسق المهيمن أسلوبياً على بنية عتبة العنوان؛ إذ شكّل اثني عشر عتبةً، في حين كانت الحزمة الثلاثية تشكّل ستة سياقات، والحزمة الثنائية ثلاثة سياقات.

ولا ريب أن تدمج التداولية بعض الحزم ببعضها؛ إذ يُظهر تفكيك عتبة الحزمة الثلاثية وإعادة تأويلها تغييراً نسقياً، فالسياقات اللغوية في الحزمة الثلاثية تندمج تداولياً في السياقات اللغوية للحزمة الرباعية؛ ذلك لأن أول سياقات الحزمة الثالثة (تعجّل دون انتباه) تفتح العتبة فيه بناءها

(11) المصدر السابق: 67.

(1) المصدر السابق: 72.

(2) المصدر السابق: 11.

(3) المصدر السابق: 17.

(4) المصدر السابق: 37.

(5) المصدر السابق: 48.

(6) المصدر السابق: 75.

(7) المصدر السابق: 89.

(8) المصدر السابق: 34.

(9) المصدر السابق: 90.

(10) المصدر السابق: 84.

بالفعل (تعجّل) ذات الجذر الثلاثي (عَجَل) ⁽¹⁾ المقرون بتاء المضارعة من جهة، والتضعيف من جهة أخرى مما أسهم في تحويل بنائه المقطعي الواحد إلى بناء من مقطعين، يصل به إلى الثنائية المقطعية فضلاً عن الإيجاز في بناء سياق العتبة؛ إذ أسقط أحد المتلازمين من بنيتها (دون = من دون)، وتشكيل ظهورها السياقي الجديد في نسق رباعي، أو ذي حزمة رباعية:

- تعجّل دون انتباه.

- تعجّل من دون انتباه.

أما ثاني الحزمة الثلاثية (الدمع يروي لهيباً) فإنه لا يطيل المكوث في تصنيفه الأولي؛ إذ يحيل (أل) التعريف في بنية (الدمع) إلى تطويل بنائي لفظي، كما يحيل الإشباع الصوتي (لهيباً) إلى تطويل بنائي صوتي من جهة أخرى، وذلك ما ينقل السياق من خلال الإضافة البنائية (أل)، والإضافة الصوتية (لهيباً) من حزمته الثلاثية إلى حزمة رباعية.

- أل دمع يروي لهيباً.

- الدمع يروي لهيب ن.

ولم يفارق السياق الثالث من الحزمة الثلاثية دلالاته على البناء السياقي الرباعي (تحتضر المسافة بيننا)؛ إذ يُظهر التأويل القرآني للبنية اللفظية (بيننا) دلالة ثنائية، تحيل إلى (الأنا/ الأنت)، أو (النحن/ الأنتم)، مما يعني أن السياق يتداول بنية معرفية، استقر تأويلها في ذهن المتلقي، ويغدو التأويل قاراً بدلالة (تحتضر المسافة بيني وبينك)، أو (تحتضر المسافة بيني وبينكم)، فما أضره البناء في ثلاثية العتبة أظهره السياق في رباعية الدلالة.

- تحتضر المسافة بيني وبينك.

- تحتضر المسافة بيننا وبينكم.

ليس ذلك ببعيدٍ عن رابع الحزمة الثلاثية (على أنين العروبة)؛ إذ يمكن للتأويل أن يستدعي المحذوف دلاليّاً، ويغدو العنوان طالباً إتمام معنوي ودلالي، يظهر في إخفاء النثيث التتقيطي من السياق (على أنين العروبة...)، وإذا ما حاولنا تأويل النثيث التتقيطي في بنية السياق، فإننا نؤول إلى التدويل البنائي (على أنين العروبة الصامته/ الغائبة/ الكاذبة/ الخائنة/ المزيفة/ الجريحة/ الميتة/ الخاذلة/ الحاقدة/ الخائنة/ الضعيفة/ الممزقة/ المستباحة/...)، وربما يحيل التأويل التداولي إلى معانٍ كثيرة، ولكننا لا يمكن أن نجعل باب التأويل التداولي مفتوحاً، ما لم نربطه دلاليّاً بالمتن،

(1) ترتيب كتاب العين: 2/ 1146.

وما يحيل إليه، وبه يمكن أن نسقط كثيرًا من التأويلات الاحتمالية، وما يلفت نظرنا هنا الصيرورة الرباعية، وتحولات السياق من حزمته الثلاثية إلى حزمة رباعية:

- على أنين العروبة.....
- على أنين العروبة الصامتة.
- على أنين العروبة الغائبة.

.....

.....

.....

يشكل الحذف والتكثيف ملمحًا بنائيًا آخر في رابع الحزمة الثلاثية؛ إذ يتجلى ذلك في سياق العتبة (بعض حرفٍ نازفٍ)، وقد أباحت القراءة المعرفية للسياقات اللغوية العربية أن يأتي النص مكتفًا أو مؤوّلًا بمحذوفٍ، فالتقدير على الابتداء (هذا بعض حرفٍ نازفٍ) يشي بتحوّل بنائي في السياق من الحزمة الثلاثية إلى الحزمة الرباعية، فضلًا عن التطويل من خلال التضاييف اللغوي:

- هذا بعض حرفٍ نازفٍ.

- بعض حرفٍ نَ نازفٍ نَ.

يبدو أن هيمنة البناء الرباعي لسياق عتبة العنوان على الشاعرة، جعلها تستدعي علامات الترقيم التي قد تأتي حاملةً صورة شكلية، تحيل إلى معنى دلالي، فالاستفهام علامة صورية تعني شكلاً متممًا للصورة في أفق المتلقي (لمن تأوي التوابيت؟)، وهي شكل كتابي يأخذ حيزًا نصيًا ودلاليًا؛ إذ ظل فكر الشاعرة يعمل في ضوء محددات رباعية للعتبة، مما أسهم في تحول البناء الثلاثي إلى بناء رباعي دالفٍ إلى الحزمة الرباعية.

وفي هذه التحولات تتشرب بالحزمة الرباعية سياقات الحزمة الثلاثية، وتبسط هيمنتها على عتبة العنوان في مجموعة بكائيات الوداع الأخير، ويغدو النسق البنائي قارًا بتيمة رقمية، تتجسد في الرقم [4] الذي يعني نسقًا فكريًا، يكتنف ذات الشاعرة، ويرغمها على الانزياح إليه في لا وعيها الشعري، وكما يعني: أنه معنى يتجلى في النص الشعري وسياقاته البنائية.

لا يستقيم ذلك لنا ما لم نفكك الحزمة الثنائية في ضوء ما بدا لنا من دلالاتٍ في الحزمة الرباعية والثلاثية؛ إذ تشكّلت الحزمة الثنائية من ثلاث عتباتٍ، كان أولها عتبة (نحيب القمر)، وعودة إلى المدونة المعرفية العربية تحيلنا إلى صيغة الحذف والإيجاز والتكثيف في بنية العتبة؛ إذ يمكن لنا تقدير محذوف في أول العتبة تقديره (هذا)، ويتحول السياق اللغوي إلى (هذا نحيب القمر)

ولكن الدلالة تظل مبهمة؛ إذ شاع في أفق الانتظار القرائي للتلقي أن القمر باسمٍ وجميلٍ وساهرٍ ويُنتظر، وما لم يؤول السياق في هذا النسق لا تتحقق استقامته تداوليًا:

- هذا نحيب القمر الباسم.
- هذا نحيب القمر الجميل.
- هذا نحيب القمر الساهر.
- هذا نحيب القمر المنتظر.

ولا شك أن تلك القراءات التأويلية التداولية، هي قراءات كاذبة، وما علينا إلا أن نبحت عمّا يحيل إليه السياق (نحيب القمر)؛ إذ يشي بالحزن والأفول والانكسار، وحينها يكون التداول:

- هذا نحيب القمر الحزين.
- هذا نحيب القمر الآفل.
- هذا نحيب القمر المنكسر.

إذ يتطلب فعل (النحيب) تيمة حزن أو أفول أو انكسار، وبذلك استعاد السياق محذوفاته، وانفتح على مكثفاته عبر تحولاته من الحزمة الثنائية إلى الحزمة الثلاثية، ومن ثم الحزمة الرباعية.

لا يستعصي على القراءة التأويلية التداولية ثاني عتبات الحزمة الثنائية (دعوا قلبي)، فهو بناء يشوبه الحذف والإيجاز؛ إذ أمكن الاستغناء عن مذكور أمن اللبس فيه (دعوا) الذي تركّب فيه الفعل والفاعل، فالإحالة الضميرية في (دعوا) على (أنتم) أمكن الاستغناء عنها والاكتفاء بما ظهر من دليلٍ عليها، فحوّل الأصل من (دعوا أنتم قلبي) إلى (دعوا قلبي)، وكما أن الإحالة الضميرية في التركيب الثاني، أسهمت في الإيجاز والتكثيف؛ إذ يأتي بناء التركيب (قلبي) منسوبًا ومتملّكًا، ولا شك أنه انزياحٌ عن البناء الأصلي الذي يتجلى في (قلبي لي)، واكتفاءً بما في الضمير من حيازة، وبذلك يتحول السياق مرةً أخرى من الحزمة الثلاثية التي لم يطل المكوث فيها قرائيًا إلى الحزمة الرباعية التي تجذبه بقوة، ويغدو:

- دعوا أنتم قلبي لي.

وفي ضوء المركزات المعرفية، يأتي ثالث سياقات العتبة في الحزمة الثنائية (سفر اللقاء)، فلا يمكن أن نغفل المحذوف وتأويله في أول البنية (هو/ هذا/ سيأتي) وبه تتملص البنية من حزمته الثنائية قاصدة الانضواء في الحزمة الثلاثية:

- هو سفر اللقاء.
- هذا سفر اللقاء.

- سيأتي سفر اللقاء.

ولا يمكن ترجيح تداولية الاحتمال بين (هو/ هذا/ سيأتي)؛ ذلك لأن تماهي اللقاء بعدم الوقوع من خلال صيرورته سفرًا، يجعله لقاءً مرتجى، أو مؤملاً، أو موعوداً، وبذلك نستطيع تأويل آخر البنية المحذوف لفظاً والمعلن دلالة:

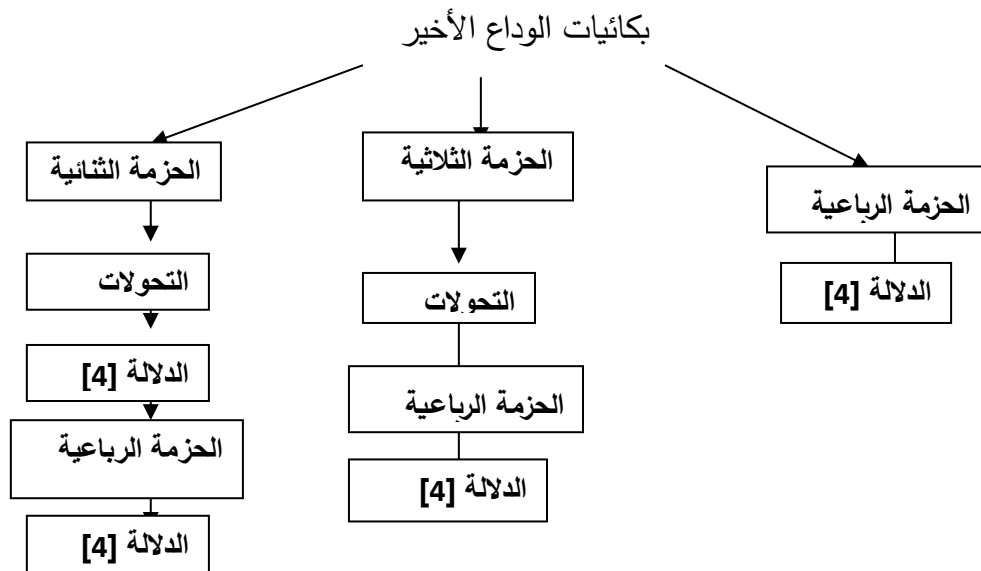
- هو سفر اللقاء المرتجى.

- هو سفر اللقاء المؤمل.

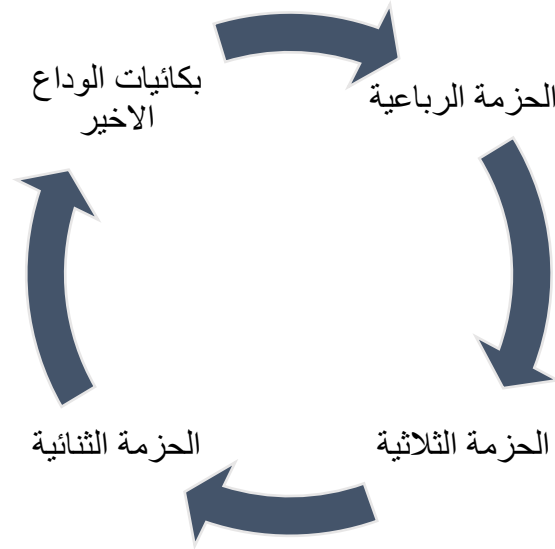
- هو سفر اللقاء الموعود.

ومن خلال تعقيد العتبة سياقياً في محذوفاتها، ومضمراتها، وتأويلها تداولياً، يتحقق التحول من الحزمة الثلاثية إلى الحزمة الرباعية.

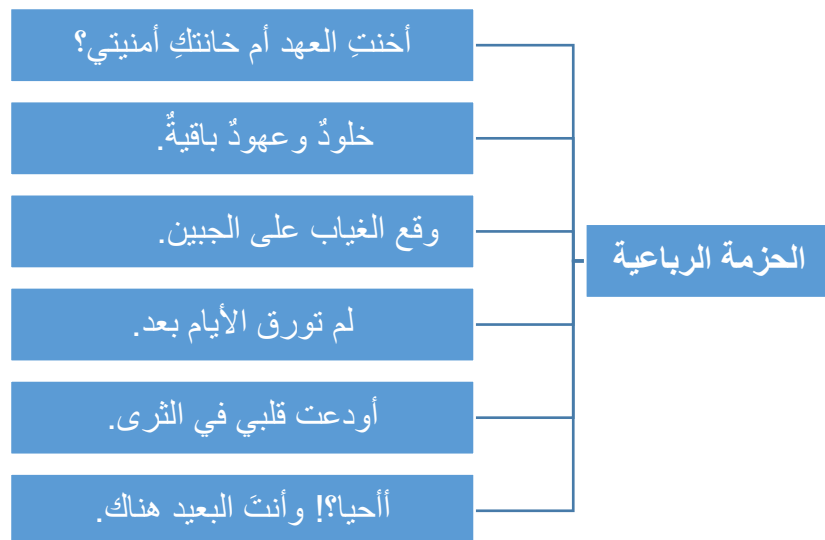
آن لنا أن نقول إن الحزمة الرباعية، هي البنية النصية المهيمنة على نسق العنوان في مجموعة بكائيات الوداع الأخير للشاعرة إيمان مصاروة، وليس أدل على ذلك من الترابط الشعبي بين الحزم النصية من جهة، وبنية العنوان الرئيسي للمجموعة من جهة أخرى؛ إذ كثيراً ما يصنع الشاعر من عنوان نصٍ عنواناً لمجموعته، ولكن الظهور الرباعي للعنوان واستحضار دلالة الرقم [4]، جعل الشاعرة تقترح عنواناً جديداً مفارقاً لغويّاً وبنائياً لعتبة عناوين في المتن:



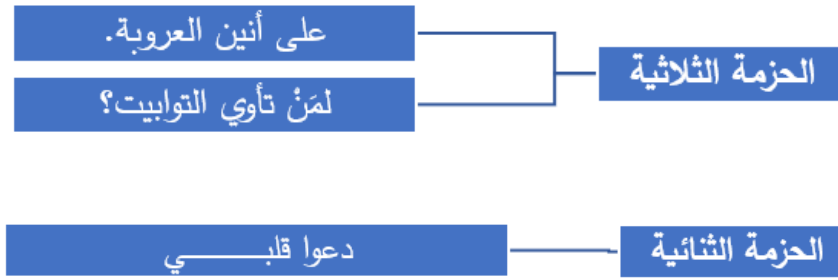
إن ما لم تصل إليه الشاعرة في دلالة الرقم [4] مباشرة، وصلت إليه من خلال التحويلات غير المباشرة، وقد تمر تلك التحويلات بمرحلة أو مرحلتين، وما يدفع الشاعرة إلى ذلك هو ما يختلج في الذات من عاطفة؛ إذ تجذر الرقم [4] في العنوان الرئيسي للمجموعة (بكائيات الوداع الأخير) الذي يحيل تأويله على تمام سياقه (هذه بكائيات الوداع الأخير):



أما محاولة استبطان المتن في مجموعة بكائيات الوداع الأخير، فإنها تحيل إلى أن الفضاء النصي يتماهى في دلالة الرقم [4]؛ إذ جاءت تسعة نصوص تتشكل فضاءاتها النصية في دلالة الرقم [4]، وما يحيل إليه⁽¹⁾ على أن تلك الفضاءات النصية تدل على ما بدا لنا من تحولات في العتبة ذات الصلة بالعنوان التي تناوبت في ظهورها الشكلي بين الحزمة الرباعية، والحزمة الثلاثية، والحزمة الثنائية:



⁽¹⁾ بكائيات الوداع الأخير: 40، 30، 7، 44، 48، 57، 61، 80، 89.



وثمة نصوص تجاوزت دلالة الرقم [4] في تشكيل فضائها النصي، ولكننا لا يمكن أن ننكر تناسلها منه، وأنها لا تشكّل خروجًا على تلك الدلالة؛ إذ قد يطول نفس الشاعرة قليلًا أو يقصر، وكما أن الكتابة الأولى مغايرة للكتابة الأخيرة؛ إذ شكّلت النصوص التي شغلت فضاء نصيًا، يتجاوز دلالة الرقم [4] خمسة نصوص⁽¹⁾، وذلك ما يقال عن النصوص التي شكّلت نكوصًا بسيطًا عن دلالة الرقم [4] في فضائها النصي؛ إذ جاءت في ثلاثة نصوص⁽²⁾.

وإذا ما تجاوزنا دلالة التشكيل النصي للفضاء الكتابي الثاني، فلا شك أن تشكيلها الفضائي الأول لحظة التخيلات الشعرية يظهر دلاليًا في بنية الدلالة الرقمية [4]، وبه تغدو متون المجموعة التي دارت في كنف الدلالة [4] سبعة عشر نصًا، مما يعني أن دلالة الرقم [4] تكتنف المجموعة من بنية العنوان الخارجي مرورًا بالبنية الداخلية للعنوان، وانتهاءً بالتشكيل الفضائي الكتابي للنص.

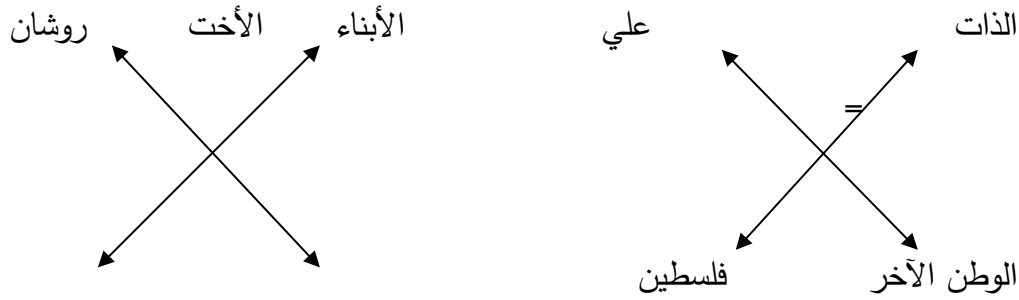
ولا ريب أن الشعراء، وهم يجترحون عتبات نصية للمتون الشعرية، يقعون تحت تأثير رؤية واعية تتجسد لا شعوريًا في النص، وأن محاولة قراءة العتبة النصية للعنوان، وترابطها التشعبي بالفضاء النصي للمتن، وعلاقاتها الدلالية بالرقم [4] تشكّل مدخلًا سوسولوجيًا لاكتناه ذات الشاعرة إيمان مصاورة، وتأويلها في ظل الدلالة المتخيلة؛ إذ لم يكن ظهور هذه البنية القارة ظهورًا فنتازيًا بل هو مكنون ذاتي اجتماعي أوجبه العاطفة المنكسرة، ولا سيما إذا أسعفتنا المتون الشعرية بتيمة رثائية حادة وبوح بكائي مرير.

المبحث الثاني: سرديات المتن الشعري

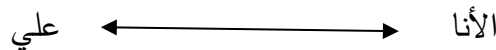
إن استقراء المتون الشعرية في مجموعة بكائيات الوداع الأخير، والكشف عن تيمة الرثاء فيها، يظهر أن أطرافًا أربعة تدور حولها النصوص الشعرية، هم (الذات / الآخر / الأبناء / الوطن)، وأما محاولة عقد الصلة الاجتماعية بين الأطراف المرثية، فإنه يشي بتحول عاطفي، يتجلى فيه فواعل الأطراف الأربعة في (الأنا الشاعرة / علي / الأخت / الأبناء):

(1) المصدر السابق: 29، 52، 67، 75، 84.

(2) المصدر السابق: 34، 37، 72.



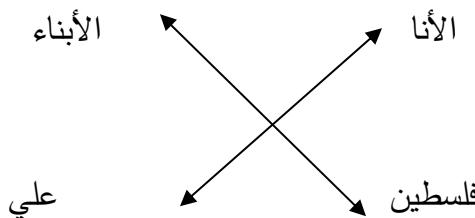
ولا مفر من القول بأن الرثاء والبوح البكائي، وتعلقاه بدلالة الرقم [4] في شعر إيمان مصاروة، هو دلالة تكاملية، تحاول الشاعرة الإمساك بأطرافها الأربعة، كما يعني: أن الشاعرة تعاني من تأثير فقدان ركن من هذه الأركان الأربعة، مما ألح على لا وعي الشاعرة، وأظهره تكاملياً، ولا يعني ذلك أن هذه الأركان الأربعة، قد تفردت في الهيمنة على المساحة النصية الشعرية الرثائية بل يعني أن الدلالة التكاملية لا تتحقق إلا بهذه الأركان الأربعة، فلا ضير من وجود رثاء الأخت⁽¹⁾، ولكن التقابلية الوجودية تحيل إلى صيرورة الزوج (علي) طرفاً قاراً في رباعية التشكيل الموضوعي للمتون يقابل الأنا؛ إذ شكّلت تيمة رثائه نسخاً يجري في النصوص، ولا يفارقها في التصريح والتلميح⁽²⁾.



ولا تنفك صلة هذه الثنائية التقابلية عن صلاتها الأخرى؛ إذ كان ورود الوطن مقابلاً لأيقونة الأبناء، دالاً على تطابق وجودي بينهما:



وتتشكل في هاتين الثنائيتين دلالات لا تتحقق إلا في التقابلية الاستبدالية، فتكون الأنا بديلة علي، والأبناء بديلاً عن الوطن:



ويحيلنا هذا إلى أن الرثاء رد فعل لصدمة مفاجئة، اعترت (الأنا)، وحاولت تهشيم ركن من أركان الرباعية المتجذرة في خلد الشاعرة، وبدلالة الرقم [4]، فتحققت انكسارات سوسولوجية،

(1) مرد رثاء الأخت مرات عدة، بكائيات الوداع الأخير: 20، 40، 43، 55، 61، 65.

(2) بكائيات الوداع الأخير: 25، 26، 27، 29، 31، 32، 34، 38، 39، 45، 49، 53، 55، 57، 58، 59، 60، 61، 63، 65، 76، 78، 81، 83.

وتأسس خوف من تلك الانكسارات في مخاض فكري، تحلق فيه الذات الشاعرة ميتافيزيقياً نحو التكامل خارج الوجودية الواقعية مكتنفة بنية الرجاء، والتأمل للخلاص من صدمة الواقع.

لقد احتشدت طبقات الرقم [4] الدلالية في مجموعة بكائيات الوداع الأخير من العنوان مروراً بالعتبات النصية، وفضاءات النص الكتابية إلى تيمة الموضوع الرثائية، فكانت الفواعل الأربعة (الشاعرة/ الأبناء/ علي) يتقاسمون دلالة الرقم [4]، ويهيمنون دلاليًا على النص إثر محاولة الشاعرة إنكار الغياب القسري، واستدعاء الفواعل وجوديًا للظهور في النص الشعري.

التوصيات:

- 1- توصي الدراسة بضرورة تفسير سرديات الرثاء في ضوء مرجعياته التاريخية.
- 2- ضرورة التنبُّه إلى السرديات الحديثة الناشئة بفعل الظروف.
- 3- تفكيك نصوص الرثاء في ضوء مفهوم الانفعال العاطفي، والخلود الأبدي.
- 4- قراءة سرديات الرثاء الخاصة بالمقاومة على أنها مشروع يستنهض الهمم.

قائمة المصادر والمراجع:

1. مصاورة، إيمان (2013م): بكائيات الوداع الأخير: ط1، القدس: دار الجندي للتوزيع، والنشر.
2. عبد الوهاب، محمود (1999م): بنية العنوان في قصيدة السيّاب (الموقع والتحويلات)، مجلة الأقلام: ع 3.
3. ترتيب كتاب العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي: تحقيق: د. مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي: مؤسسة الميلاد: ط1: قم 1414هـ.
4. د. جميل بدوي، جميل (1997م): السيميوطيقا، والعنونة: مجلة عالم الفكر: مج 25: ع 3: 1997.
5. عتبات النص في ديوان (آدم الذي...) للشاعرة حبيبة الصوفي: سعيد الأيوبي: مجلة علامات: ع 19.
6. علاقات الحضور، والغياب في شعرية النص الأدبي - مقاربات نقدية: د. سمير خليل: دار الشؤون الثقافية العامة: ط1: بغداد: 2008م.
7. العنوان في الشعر العراقي الحديث - دراسة سيميائية - : حميد الشيخ فرج: دار التكوين للطباعة، والنشر: ط1، 2007م.
8. قراءة العنوان الروائي - محاولة في التصنيف، والتنظير، والتطبيق: أ. د. عباس رشيد الدرة: دار الفراهيدي للنشر، والتوزيع: ط1: بغداد: 2013.
9. الوصول إلى الطريق - قراءة في شناسيل ابنة الجلي: د. مالك المطليبي: مجلة الأقلام: ع 3-4: 1993م.
10. Genette (Gerard), seuils, collpossique prais.1987.
11. Rifatarre.M. semiotique la possie. Seuil.paris.1983.